جامعة المولى إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

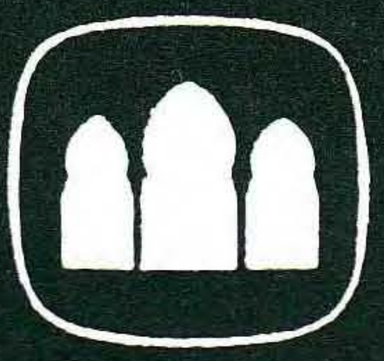

اللسانيات واللغة العربية
بين النظرية والتطبيق

4
سلسلة الندوات

1992

جامعة المولى إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

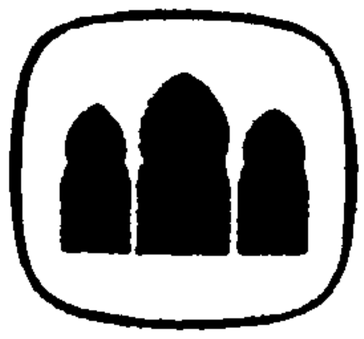

اللسانيات العربية
بين النظرية والتطبيق

سلسلة الندوات
4

مفهوم النص في الفكر اللغوي المعاصر

عبد الناصر لقاح
كلية الآداب - مكناس

ملخـــص:

تسعى هذه المقالة الى عرض المفهومات الرئيسية للنص في الاتجاهات اللغوية المعاصرة وعقد المقارنة بينها ، ورصد مدى ما حققه اتجاه " كالتوليدي " مثلا من تجاوز بالقياس إلى الاتجاه الوصفي البنيوي . وكل ذلك من أجل الوقوف على مدى الاختلاف المفهومي الراجع أصلا إلى اختلاف المشارب المنهجية والتوجهات النظرية .

وتحصر المقالة نفسها في الاتجاهات البنيوية والتوليدية ، والاقناع ، لغالبيتها في مجال الدراسة النصية .

إن ثمة مجموعة من الانظار والمفهومات المتصلة بالنص ، راجعة الى نوع المنبت المعرفي الذي انتجها وأسهم في تبليرها وفق التراكم المعرفي والمراس الاجتماعي اللذين أحاطا بها ، ولذلك وجب النظر إلى تحليل النص باعتبار ممارسيه ، قبل النظر إليه باعتباره عملية علمية ، إذ الحياد في هذه الحال غير ممكن ، وبناء على ذلك فاننا عندما نتحدث مثلا عن النص Text أو الخطاب Discourse من وجهة نظر فرنسية فإن الأمر ليس هو نفسه عند حديثنا عن النص أو الخطاب ، بأمريكا أو هولندا أو غير ذلك من الدول ، بل إن النظر الى النص في البلد الواحد يختلف من مجموعة علمية إلى أخرى (1) ، وكذلك الامر بالنسبة للعملية التحليلية فتحليل الخطاب Discourse Analysis بأمريكا ليس هو بالضبط Analyse du discours بفرنسا (2).

وبناء على ما سبق ، فاننا سنسعى في هذا المقام الى عرض المفهومات المتعلقة بالنص ، ومحاولة رصد ما بينها من اختلاف أو ائتلاف .

1) النص باعتباره متنا :

يطبق أغلب اللسانيين البنيويين بفرنسا على أن النص يمثل مجموعة من الملفوظات اللغوية القابلة للتحليل ، ومن ثم ، فهو عينة من السلوك اللغوي مكتوبة أو شفهية .. إن النص في هذه الحال مرادف لمصطلح آخر هو المتن Corpus (3) .

يبدو من خلال هذا التعريف ، أن النص مجموعة غير محددة من الجمل ، تتخذ قيمتها من قابليتها للوصف .

يقول جان ميشال أدم " نستطيع أن نقول إن النص مجموعة غير محددة من الجمل ... إنه هو الذي يضمن لسلسلة من العناصر اللغوية وجودا ماديا ملموسا " (4) .

بناء على ما سبق يصبح النص معادلا لمصطلح آخر هو الكلام Pa-role فهو مرتبط بارادة وذكاء ، يدل عليهما تركيب ذاتي للجمل ... إنه حالة ذاتية عارضة تحقق فيها الذات المتكلمة أبعادها في عفوية أو تمحل وتصنع ، وتعدل بها عن القواعد أولا تعدل ، والابداعية متصلة بهذا المعنى بالنص باعتباره انجازا فرديا (5).

إن هذا المعني عينه هو الذي دفع الاسلوبيين الى النظر الى النصوص الشعرية ، على سبيل المثال بوصفها تحقيقا لعدول ما Ecart بالقياس الى المعيار La Norme ، أو بالقياس الى أمور أخرى لسنا في حاجة الى ذكرها هنا ، حسبنا أن نقول إن مفهوم النص بوصفه إنجازا فرديا أو كلاما Parole يقابل اللسان Langue عند سوسير ، بمعنى آخر ، إن قواعد الكتابة Ecriture، وأخلاقها من حيث ما يمكن أن يتعلم ، كل ذلك يمثل اللسان Langue، وأما استغلال تلك القواعد والاخلاق وانجازها فرديا ، فان ذلك يمثل النص Texte ، أي الكلام Parole ، " إن هذا المعنى هو الذي يثوي تحت أعمال الاسلوبيين بعامة ، والذين احتفلوا منهم بالشعر بخاصة (6).

وفي هذا الاتجاه نفسه ، يحقق بعض اللغويين نوعا من الفرادة حين يذهبون إلى أن الخطاب Discours (وهو يعني عندهم في الغالب ما يعنيه مصطلح Texte) مجموع منظم من الجمل ، وأنه بناء على التنظيم

ذاته يبدو شبه خطاب خاص ، له لسانه الخاص (7) إنه مكون من وحدات Unitésوقواعد Règles ينفرد بها تمثل نحوه Sa grammaire.

وهذا التصور قمين بالنظر إليه على أساس أنه اكثر طموحا ، فالنص ليس مجموعة من الجمل بالضبط ، وإن كان التعريف يصرح بذلك ، إنه (أي النص) قابع في ما يربط بين تلك الجمل ، كما أن مفهوم الجملة ثا وفي ما يربط بين الوحدات المعجمية Lexèmes والصرفية النحوية Morphèmes التي يتكون منها . واستنادا الى هذا المفهوم ، سيحدد النص بوصفه حالة تماسك Cohesion ، أو حالة انسجام Cohér-ence مع ما بينهما من اختلاف ، إذ إن التماسك عادة ما يكون مؤشرا عليه Marked [في السطح] بوضوح ، فيما قد يكون الا نسجام واضحا وقد يكون مضمرا ، بمعنى غير مؤشر عليه Unmarked ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن الانسجام عندما يكون مؤشرا عليه ، فان التمييز بينهما (أي بين التماسك والانسجام) يصبح من الصعوبة بمكان ، نظرا لتداخلهما (8) . والامر في هذه الحال ، متعلق قبل وبعد كل شيء بقراءة النص ، إلا فكيف نرصد مواصفات الانسجام ... هل في شكله أم في مضمنه ؟ إذ إن هناك نصوصا تتصف بنوع من الشذوذ والغرابة ،... هنا تجب القراءة من أجل إظهار الانسجام ، ويصبح حينئذ الامر متعلقا بناء النص من جديد .

واستنادا الى ذلك يرى (براون ويول 1983) أن النص ليس شيئا معطى ، " ليس شيئا موجودا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه (على مجسداته) وإنما هو ... شيء يبنى ، أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم باستقلال عن المتلقي " (9) .

وإذا كانت الجملة تحدد من جهة النظر اللسانية استنادا الى الاوار الدلالية ، والوظائف النحوية وغير ذلك من الامور الخاصة بها ، والتي تجعلها شبه ثابتة ، فالنص غير ذلك ، إذ إن كثيرا من الصيغ اللغوية الثابتة في اللسان تصبح غير ذلك في النص ، فالاشاريات مثلا Deixis لا تشير ضرورة - في حال الزمن - في مستوى الحاضر Le présent إلى زمن الحضور الحقيقي ، بل إلى زمن الاحداث Les événements وهذا نفسه داع قوي إلى تنظيم نحو خاص بالخطاب .

ويميز هاليداي بين ثلاث وظائف لغوية ، هي الوظيفة المثالية Idéationnelle والوظيفة البين شخصية Interpersonnelle والوظيفة النصية Textuelle، " وهذا النوع الأخير من الوظائف هو الذي يسمح لمتكلم (كتابة وشفهيا) بتكوين النصوص التي تلائم الأوضاع وتسمح للمستمع أو القارىء بتمييز تلك النصوص عن مجموع

جمل ، ومن بين المهمات المنوطة بالوظيفة النصية عقد الصلات بين الجمل داخل الخطاب " (10) .

وبالنسبة لهاليداي ، فالوظيفة النصية لسانية صرف ، وهي التي تسمح للوظيفتين الأخريين بالظهور (11) .

2) النص باعتباره احتمالا :

يقوم لاتجاه الثاني في مدارسة النصوص على الابعاد النظرية للنحو التوليدي Grammaire Générative وإن كان تشومسكي نفسه براء عمليا من الاحتفال بالنص بوصفه موضوعا للدراسة اللسانية .

تسعى النظريات التوليدية الخاصة بالخطاب مثل الانحاء التوليدية ، الى انشاء نماذج للقدرة قادرة على تفسير توليد الاشكال الخطابية (12).

ولعل الشعرية التوليديةPoétique générative هي القسم الاكثر تطورا ، في مجال دراسة النصوص من هذه الوجهة ، فقد استطاع العروض التوليدي Métrique générative تجديد العروض التقليدي بشكل جذري ، كما صنع النحو التوليدي مع الانحاء التقليدية (13) وبناء على ذلك فقد استطاعت الشعرية التوليدية أن تنظر في القواعد المجردة الخاصة بالخطاب الشعري ، دون أن تربط نفسها بالبلاغة التي يشترك فيها كل من الشعر والنثر (14) والنجلح نفسه ، لقيته الاعمال التي قيم بها في هذا السياق حول السرد Narration .

وعلى العموم ، ما هي المباديء النظرية المعتمدة في هذا الاتجاه ؟ لقد قلنا ، إن أصحاب هذا الاتجاه يعتمدون مباديء النحو التوليدي ، ولكن هذا لا يعني أنهم يتشبثون بها بشكل مطلق .

يرى فان دايك Vandijk ، " أن كثيرا من الظواهر الخاصة باللغة الطبيعية ، هي خواص خطابية Properties of Discourse، وأنها من ثم لا يمكن وصفها بشكل كفي في أشكال النحو الموجودة" (15) ، وبناء على هذا ، يكون مشروع فان دايك عبارة عن محاولة لتجاوز ما يعتور النحو التوليدي ، من نواقص ناتجة حسب اعتقاده عن توجيه العناية كلها للجملة (16).

يذهب فان دايك الى أن ثمة قدرة Compétence ينبغي للغوي الاهتمام بها ، هي القدرة النصية Compétence textuelle ، " إن قدرتنا ليست جميلة ولكنها نصية Textual" (17) . والمتكلم الاهلي للغة

يستطيع اعتمادا على هذه القدرة انتاج Produce وتاويل Inter-pret ملفوظ ما بشكل شمولي ، أو في شكل خطاب مترابط Connected Discourse وليس في شكل مجموعة خطية من الجمل النحوية (18).

هذا ، وعلى اللغوي أن يفسر كيف يستطيع المتكلم أن يميز بين نصوص نحوية grammatical وأخرى لاحنة Ungrammatical، وكيف يتعرف انواع الائتلاف بين نصوص مختلفة جدا على مستوى الشكل و وكيف يتمكن من إعادة صياغتها ، بالاستعانة بنصوص أخرى (19) .

ويذهب اللغويون الذين يهتمون بدراسة النصوص ، إلى تقديم الاسباب التي تسوغ لهم الصدوف عن الجملة ، وهي عموما :

1) إن النص هو الذي يسمح لنا برفع اللبس في الجمل .
2) النص يشتمل على اقتضاءات واستلزامات لا تشتمل عليها الجمل التي تكونه .
3) النص قابل لإعادة الصياغة بشكل أكثر من الاحتمالات التي تمدنا بها الجمل (إما عن طريق الاطناب والشرح ، أو التلخيص الشديد (20).

على أننا ينبغي أن نشير إلى أن بعض اللغويين ، أمثال ايزبرج Isenberg، يذهب إلى أن الجملة الواحدة قد تكون نصا إذا توافرت لها شروط أو وظائف تواصلية Cinq Fonctions de communication: الامر l'Ordre ، والرسالة Message ، والاشاريات Déictique ، والتعبير l' Expression والاشتراك Participation(21) ، ولعل أهم مفهوم يتداوله التوليديون في هذا المجال ، هو مفهوم " القدرة " com-pétence وهي تتعدد عند فان دايك بحسب تعدد أنواع النصوص ، وتتيح هذه القدرة للمتكلم الاهلي المثالي للغة المعينة ، فهم وتاويل أو تفسير عدد لا متناه من النصوص النحوية ،Grammaticaux، أو المنسجمة Cohérents أو الكاملة Complets ، وكل هذه المصطلحات تعني تقريبا الشيء نفسه . وبناء على ذلك ، فان القدرة ذات طبيعة نصية ، ومن ثم فان لسانيات الجملة لا تمثل إلا جزءا من لسانيات النص ، تساهم في تأطيرها إلى جانب التداوليات Pragmatique .

يرى فان دايك أن المتكلم المثالي - الذي يفترضه - قادر على التمييز بين نص شعري ونص آخر غير شعري ، رياضي مثلا ، ويعزو ذلك الى قدرته النصية في إطار نحو توليدي للنص ،واذا كانت القدرة عند تشومسكي تقوم على معرفة مضمرة بالجمل بعامة ، أو تختص بالتراكيب بشكل مباشر ولا تهتم بالاوضاع (22) فان القدرة النصية عند فان دايك أنواع ، إذ يرى أن ثمة -إلى جانب ما يسميه القدرة

النصية - قدرة سردية compétence narrative وهي داخلة في النحو النصي Grammaire Textuelle المؤهل لتوليد مجموعة غير محدودة العدد من البنى النصية السليمة القابلة للوصف اللساني (23) .

وبالنسبة لكوت زفينولد Gotz wienolot فان السردية Narra-tivité مشتقة من نموذج كوني أو عالمي للنص ، ومن تم وجب في رأيه رصد الكليات اللغوية الخاصة بالنص ...

وكما يذهب تشومسكي إلى التمييز بين مفهومي القدرة والانجاز ، ويقدم دراسة القدرة على الانجاز الذي يرجيء الاهتمام به ، بعد الانتهاء من دراسة القدرة ، فان النحاة الذين يشتغلون بالنص يميزون بين قدرة سردي Compétence narrative وانجا ز سردي Performance narrative وتأتي دراسة القدرة في المقام الاول ، وبعد تحديدها ، يمكن أن نقوم ببلورة الانجاز نظريا " (24).

ويتصل بمفهوم القدرة ، مفهوم أخر هو البنية العميقة Structure Profonde فلكل نص بنية عميقة نستطيع من خلالها توليد النص بشكل كامل وشمولي (J. Petofi 1973) ويوازي هذا المفهوم مفهوما أخر عند فان دايك هو البنية الكبرى Macro - structure التي تحدد انسجام النص Sa coherence ومن المفترض أن هناك قواعد تحويل تنقل النص من حالته العميقة الى حالته السطحية (25).

هذه هي عموما المباديء التي يقوم عليها نحو النص ، وهي تثير اشكالات ، لعل أهمها أن البنية العميقة تصبح بمثابة خطاطة مجـــردة " موضوعاتية " مرتبطة بقصد التواصل L'intention de communi-cation ، ومن ثم ، يدمج هذا النحو ، مفهوم المقام Situation والتداول ولسنا ندري الى أي حد يمكن الحديث عن قدرة نصية تدخل فيها مثل هذه العناصر التي كانت تعد عند رائد التوليدية من المسائل المرتبطة بالانجاز Performance(26) .

3 - النص إقناعا :

تهتم نظرية الاقناع théorie de l'argumentation بالتقنيات الخطابية Techniques discursives ، التي يتوسل بها المتكلم أو الكاتب ، لمحاولة التأثير على المتلقي لكسبه ، واثارة اهتمامه وميله إلى تبني طروحاته (27) .

يحدد فينيو الخطاب الاقناعي Discours Argumentatif بقوله

إنه ذلك الخطاب الذي يطبع بواسطته المتكلم او الخطيب [مثلا] الذات المتقبلة القارئة أو المستمعة (فردا او جماعة) وذلك انطلاقا من موقف يتخذه لنفسه ويدافع عنه داخل تكوين مجتمعي ما ، وبناء على ذلك ، فان الخطاب الاقناعي ينفرد بميزتين .

1) إنه مؤسس وفق بنية من القضايا والطروحات التي تكون برهانا ، وتترجم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة موقفا للمتكلم (إثبات - حكم - نقد) .

2) إنه يحيل دائما على الآخر ، والآخر يكون في هذه الحال إما مفردا أو غير ذلك ، ويكون إما واضحا أو غير واضح في الخطاب (28).

ويظهر النص في هذا الاتجاه من خلال توالي القضايا [الجمل] والروابط التي تصل بعضها ببعض ، وفق مفاهيم كـ : الكمية ، الكيفية ، المجاورة ، الحذف ، الربط ، الخضوع الخ ...

واعتمادا على هذه المفاهيم ، يتم بطريقة ما انشاء تيبولوجيا Typologie للخطابات ...

مشكلة هذا الاتجاه ، أن المنهج فيه لا يمكن أن نعتمده في تحليل جميع النصوص وبنفس الطريقة للسببين التاليين :

1) إن هناك نصوصا مليئة بالوسائل الإقناعية ، وذلك مثل الخطاب السياسي ، وهناك إلى جانب ذلك نصوص تبدو خلوا من الاقناع ، على الأقل في بناها السطحية ، وذلك في مثل حال الشعر المعاصر في بعده التجريدي ، وهذا يدعونا إلى أن نحل المشكل بوساطة خلق وسائل منهجية في هذا المجال تضع في الحسبان نوع النص المدروس اذ لا يمكن اعتماد نفس الآليات في دراسة الخطابات السياسية والشعرية .

2) إن هذا الاتجاه يقوم على مسلمة مفادها أن الخطاب موجه لآخر فردا كان أو مجموعة ، ومن ثم فإن في هذا افتراض وجود تواصل مؤكد ، قائم على شفرة Code ، وسياق Contexte، والحال أن كثيرا من النصوص لا يمكن أن يشملها هذا التعريف ، وذلك مثل المذكرات الخاصة .(29) Le journal intime

---

الهوامـــش :

1) يتـــحـــدد مـــعنـى الخطاب Discours بفرنسا مثلا وفق المفهوما التالية :

- الخطاب مرادف للكلام Parole بالمعنى السوسيري ، وهذا ه المعنى الشائع في الادبيات البنيوية .
- الخطاب إرسالية أو ملفوظ ينظر اليه باعتباره وحدة لساند ذات بعد أعلى من الجملة
- الخطـــاب هوالنـــص في حال النظـــر اليه من خـــلال شـــرو إنتاجه .هناك ، فضلا عن هذا تعريفات أخرى ، للإطلاع عليها

أنظر : Dominique Maingueneau

ntroduction aux méthodes de l 'analyse du discours Problèmes et Perspec ves- Hachette France 1976

2) أنظر في ذلك ، بنوع من التفضيل

Analyse de discours et linguistique générale Langages 1979 n55

3) CF: Jean Dubois (en collaboration)

مادة Dictionnaire de linguistique " Texte "

4) Jean Michel Adam (en collaborathon)

Linguistique et discours littéraire Théorie et pratique des textes.,

Larousse - Université 1976, P. 195

5) ترتبط الابداعية في هذا المقام بالنص باعتباره كلاما ، والابداعية بهذا المعنى امتداد لمفهوم الكلام عند فردينان دي سويسر ، ولهذا فإن الجملة تنتـــمي عنده إلى الكلام وليس إلى اللســـان ، أمـــا بالنســـبـــة لتشومسكي فان هناك نوعين من الابداعية :

أ) الابداعية التي تغير القواعد Rule - changing Creativity

ب) الابداعية الخاضعة للقواعد Rule - governed Creativity

وإذا كـــان النـــوع الاول مـــرتبطا بالانجـــاز Performance فان الثاني مرتبط أصلا بالقدرة Compétence

من أجل المزيد من التـــفـــصـــيل حـــول هذا الخـــلاف بين ســـوســـيـــر وتشومسكي ،

انظر Nicolas Ruwet, Introduction à la grammaire générative, Librairie Plon - Paris - 1968 P 51.

Jean Cohen , Structure du langage Poétique ,Flammarion (1966)

وأيضا :

J. Sumpf : Introduction à la stylistique française Larousse - 1971(P 51)

7) **يقول بيرجيرو " لكل إنسان لسانه** Langue **ولكل عمل** Oeuvre **لسانه أيضا"**

أنظر : Prierre Guiraud ,StylistiqueCollection - que sais - je Ed Puf ,

8) Driss Ouaouicha, An Analysis of Learners Written Discourse:
- Unpublished M.A.thesis University College of North Wales

9) **محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب المركز الثقافي العربي 1991 ص 51 وما يليها**

10) J. B Marcellesi et B Cardin Introduction à la sociolinguistique
Larousse 1974 P 179

11) Ibid

12) Mitsou Ronat " Langue Française " - 12 - N 44, 1974 , P. 4

13) Ibid P 4

14) Ibid P 5

15) VandiJk Some Aspects of Text grammars the Hague Monton
1972.

يقصد النحو التوليدي .

16) **نحن لا تستطيع بالطبع أن ننكر مدى التأثير الذي مارسه** Z. Harris **بمقاله** Discourse Analysis **في هذا الاتجاه ، وإن كان ثمة اختلاف كبير بين رائد تحليل النصوص ، وأتباعه ، إذ إن هاريس لم يستطع بطريقة أو أخرى - التخلص من التوجه التوزيعي في النظر الى النصوص ، فالتعادل وهو من أكثر ما الح عليه لا يقوم في الواقع إلا على مبدأ التردد والتوزيع .**

أنظر تعليق فان دايك على Harris **في (1972)**

17) Vandijk 1972 P. 3

18) Ibid

19) Ibid

20) Langages N 26 , 1972 P. 78

21) Ibid P. 70

بالنسبة إلى ايزنبرج ، قد يكون النص جملة واحدة أو مجموعة جمل ، ولهذا فالنص -بهذا المعنى -نصان وليس نصا واحدا .

22) Chomsky ; Aspects de la théorie syntaxique (1965) du seuil 1975 P. 13 ; Hachette , 1976 P. 178 Trad ; Editions

23) Dominique Maingueneau (1976)

24) Ibid

25) Ibid

26) تجدر الاشارة إلى أن القدرة بعد شومسكي (65) تشعبت عند مجموعة من اللسانيين إلى أنواع ، فهناك القدرة التداولية ، Simondik، والقدرة الايديولوجية Slakta، والقدرة التواصلية Hymes ... الخ

27) Perelman Champ de L'argumentation ; Presses universitaires (1971) P. 13

28) Georges Vignaux Argumentation Droz Geneve - paris1976 P. 5

29) يجب أن نشير إلى الفرق بين مصطلحي Argumentation وDémonstration، فالثاني خاص بمسائل منطقية صرف ، مسألة رياضية مثلا ، حيث يكون الدليل عقليا ولا يحتاج إلى حجاج بينما الادلة في الاقناع أدلة ذات بعد ذاتي .

البيبليوغرافيا

- ChomsKy Noam (1965) Aspects de le théorie syntaxique Trad, Editions du Seuil, Paris 1975
- Dominique Maingueneau , introduction aux méthodes de l'analyse du Discours. Problémes et Perspectives - Hachette, France 1976
- Driss Ouaouicha; An Analysis of Learners Written Discourse ; Unpublished m.a thesisUniversity College of North Wales
- Georges Vignaux; Argumentation . Droz Genève - Paris 1976.
- Jean Dubois (en collaboration) Dictionnaire de linguistique " Texte "

مادة

- J.b Marcellesi et B Cardin ; Introduction à la sociolinguistique
Larousse 1974
- Jean Michel Adam (en collaboration)
Linguistique et Discours littéraire théorie et Pratique des textes
Larousse - Université 1976
- Mitsou Ronat . Introduction in " Langue Française " N 44;1979
- Nicolas Ruwet . Introduction à la grammaire générrative. Librairie Plon Paris 1968.
- Perelman. Champ de l'argumentation presses universitaires 1971
- Pierre Guirand Stylistique. Coll que sais - je ed Puf
- Vandijk. Some Aspects of Text grammars. The Hague Monton 1972

بالعربية

محمد خطابي : مدخل إلى انسجام الخطاب .المركز الثقافي العربي .1991